الانسان ان ينظر الى اصول النعم فاذا راى صحة الجسد والتمكين من
اجتذاب الطعام واساغته وسهولة اندفاع الاذى وراحة الجسم بالنوم
وارتفاع الالام في اليقظة وحصول الامن ولو لم يكن الا سهولة اجتذاب النسيم
بالنفس لتروح النفس ورده ثم سوق الكفاية من الرزق واعظم الكل
سلامة الاعتقاد فهذه اصول قد نسيت واهل الشكر عليها وكانها تلزم
وتجب وتتعين على المنعم فلا يشكرها وانما ترى الزيادة يعني انها نعمة
وننسى هذه واسر ما نعرف قدر النوم لمن طرقه الالم بالليل ولا يعرف
قدر العافية الا من لحقه الم فالعجب لمن اصح سليم البدن معافي من
الم صحيح الخلقة عنده قوت يومه كيف لا يجد في الشكر فاذا حصل
له شي من النعم الزوايد اجمله ذلك فاعجب النعم ان كثيرا من الناس لا ينالون
القوت الا بعد ظلم الناس واخذ ما ليس لهم ممن رزق حلالا ولم يحوج
الى التعسف في رزقه فانها من اعظم النعم ولقد بلغني ان رجلا جار على
مجذوم قد اكل طعاما وحصل بين اسنانه منه شي فاقلقه فقال له يا اخي
تقدم الي فخلله بين اسناني ففعل فلما زال عنه المؤذي قال اه بالله عليك
يا اخي هل اديت شكر الخلال ٥ **فصل** لا اعرف انعم عيشا في الدنيا
من العلما العاملين بالعلم لان الدنيا كلها مراد لنيل اشيا للغني والعز
والراحة فهم باليسير قد استغنوا وبالزهد في فضول العيش قد عزوا وبقلة

السعي

السعي قد استراحوا طلبوا العلم بالادب ولقا الاشياخ العقلا العلما فكانت
مخالطتهم لهم مخالطة الرياضة فلما حصلوا العلم انفردوا عن السفساف
الذين لا يعرفون اقدارهم وعن السلاطين الذين يبيعون دينهم ومن انقطع
بعد المخالطة صفت افكاره وحلا يطيب عيشه فاما المنقطع عن غير رياضة
وعلم فهو كالبهيمة فهولا عملوا بعلومهم فنطقتهم فامرتهم ونهتهم فنماهم
كتبهم ومحدثهم سير من كان قبلهم وقد كان دلهم العقل والعلم على الزهد
في الفضول وحثهم على الغنا عن الناس فتارة يشتغلون بالاكتساب وتارة
بالقناعة بالقليل ليس للسلطان عليهم منة ولا للعامي عليهم سلطنة فهيبتهم
تملا القلوب وحكمهم على الكل واقلامهم توقع على الشرع ان قويت عزايمهم على التقلل
من المباح فهو راحة وان ضعفت فسحوا لها في المباح فهم الناس في الدنيا والاخرة
ولهم خلقت الداران الدار الاولى للعبرة والابتلا واظهار الجواهر المودعة
فيهم من الصبر على القضا والرضا بالقدر وترك المحبوبات العاجلة لامتثال
امر المنعم فهو كالاجير عينه بغيبوبة شمسه نزول الموت به ومن ذلك الوقت ترى
تفقد الازدحام الناس على الجنائز وزيارتهم لتلك القبور وقبور السلاطين
لا يلتفت اليها والنعيم الدايم الذي شهدت به الشريعة بعد الموت وما هي
الا غفوة واذا نفخ في الصور قد انتبه القوم فقاموا وقد هيئت لهم المراكب
فمروا على الصراط كالبرق الخاطف وقيل لهم لم تتوقفوا في امثال الرتبا